نساء في الإسلام

* * *

أُمُّ وَرَقَة

رَضِيَ اللَّهُ عَنها

نجلاء شوقي حسن

أمُّ وَرَقَــة

رضِيَ اللّهُ عَنها

خَرجتْ فاطِمَــةُ ووالِدَتُهـا منْ المَســجِد ، بعـدَ أداءِ صَلاةِ الجُمُعَةِ مَسْروريَتَيْن ، فقَـدْ أعجَبتْهُمـا الخُطبَةُ الّتي ألْقاهـا إمـامُ المَسـجِد ، وكـانتْ عـن مَواقِفِ الرّسول ـ صلّى اللّهُ عليه وسـلّم ـ معَ أصْحابِه .

وقالتْ فاطِمَة :

ـ من هِيَ يا أُمّي أُمُّ ورَقَة ، الّتي ذكَرهـا إمـامُ المَسجدِ ، في بضْعِ كَلِماتٍ من حَديثِه ؟

قالتْ أُمُّها وهيَ تبتَسِم :

ـ هِىَ يا ابْنَتى الصَّحابِيَّةُ الجَليلَة ، الَّتى بشَّـرها رَسولُ اللّه ـ صلّى اللّهُ عليه وسلَّم ـ بالشَّهادَة ، فَنالَتْها .

قالتْ فاطِمَة :

ـ نَعم يا أُمّى ، فَهذا هو ما سَمِعناهُ مـن الإِمـامِ لا أكْثَر ، ولكـنْ من هِىَ أمُّ وَرَقـة ، ومـا هِـىَ حِكايَتُها ؟ فَهذا ما أوَدُّ أنْ أعْرِفَه .

قالتْ أُمُّها وهىَ تَفتحُ بابَ الشُّقّة :

ـ نَجلِسُ الآنَ أوّلا ، ثُمَّ أُحدِّثُكِ عن حِكايَتِها .

وَجَلَستْ أُمُّها علَى الأريكَة ، وجلَستْ فاطِمـةُ قَريبا مِنها .

وقالَتْ أمُّها :

ــ أمُّ وَرَقة هى بِنتُ عَبدِ اللّهِ بنِ الحارِث الأنْصارِيَّة ، والأنْصارُ يا ابْنَتى هُم أَهلُ يَثرِب .

وَتَبدأُ حِكايةُ أُمِّ وَرَقةَ عِندما جاءَتِ البُشْرَى لأَهلِ يَثرِب ، أنَّ النّبِىّ ـ صلّى اللّهُ عليه وسلّم ـ قد خَرَجَ من مَكّةَ هو وصاحِبُه أبو بَكرٍ الصِّديق ، مُهاجِرَيْنِ إلى يَثرِب ، فخرَجَ أهلُ يَثرِبَ عَن بَكْرَةِ أبيهم ـــ أى كُلُّهم ـــ وخَرَجَ مَعهم المُهاجِرونَ الّذينَ هاجَروا من قَبْلُ من مَكّةَ إلى يَثرِب ، وكانوا جَميعًا فى لَهفَةٍ وشَوق ، لرُؤيَةِ رَسولِ اللّه ـ صلّى اللّهُ عليه وسلّم ـ .

فلمّا تأخّرَ وصولُ النّبيِّ الكَريمِ إلى يَثرِب ، ساوَرتْ بَعضَهُمُ الظُّنون ، وخَشَوا أن تَكونَ بعضُ العَقباتِ قد عاقَتِ الرّسولَ وصاحِبَه ، ومَنَعَتْهما من الحُضور .

ولكنَّ عِنايةَ اللّهِ ـــ سُبحانَه وتعالى ـــ كانتْ أكبَرَ وأعظَمَ من كلِّ عَقبة ، فتَكفَّلتْ بحِمايَتِهِ ورِعايَتِه ، حتّى أشْرَقَتْ طَلعَتُهُ الشّريفَةُ على يَثرِب ـــ الّتى أُطلِقَ عليها منذُ ذَلكَ اليَوم ، اسْمُها الّذى عُرِفَتْ به فيما بَعد ، وهُو « المَدينَةُ المُنوَّرَة » فغَمرتْها بالنّور ، وشَمِلَتها بالفَرحَة ، وخرجَ نِساؤها يَضرِبنَ بالدُّفوف ، ويُطلِقنَ

الزَّغـاريد ، ويُنشِـدنَ مُرَحِّبـاتٍ برَسـولِ اللّـه ـ صلّى اللّهُ عليه وسلّم ـ :

طلـعَ البَـدرُ علينـا مِن ثَنِيّـاتِ الـوَداعْ
وجَبَ الشُّكرُ علينـا مـا دَعـا لِلّـهِ داعْ
أيُّهـا المَبعـوثُ فينـا جِئتَ بالأَمرِ المُطـاعْ
جِئـتَ شرَّفتَ المَدينَة مَرحَبًا يا خـيرَ داعْ

* * *

وكانتْ أمُّ ورَقَة تَقِفُ مع أَخواتٍ لهـا ، تَهتِفُ وتُلوِّحُ مُرحِبَّةً برَسـولِ اللّـه ـ صلّى اللّهُ عليه وسلّم ـ وهـو يَمضي بينَ جُموعِ مُستَقبِليه ، فوقَ ناقَتِهِ القَصْواء .

واستَقرَّ الرَّسولُ الكَريمُ ـ صلَّى اللَّهُ عليه وسلَّم ـ بالمَدينَةِ المُنوَّرَة ، وانصرَفَتْ أُمُّ وَرَقَة ـ رَضِيَ اللَّهُ عَنها ـ إلى كِتابِ اللَّهِ ـ سُبحانَهُ وَتَعالَى ـ تَحفَظُ آياتِه ، وتَتفَقَّهُ مَعانيه ، وتَقومُ اللَّيلَ عابِدَةً تُصلِّى وتَقرَأُ القُرآن ، وتَخشَعُ وتَبكى ، وتَعكِفُ على جَمعِ آياتِ القُرآنِ الكَريمِ فى دارِها ، مَكتوبَةً على العِظامِ والجُلودِ والرَّقائِق ، مُرتَّبَةً كما أمرَ رسولُ اللَّه ـ صلَّى اللَّهُ عليه وسلَّم ـ .

وكانتْ أُمُّ وَرقَةَ واحِدَةً من نِساءِ الأنْصار ، اللَّاتى كانَ نَبىُّ اللَّهِ الكَريم ، يَقصِدُهنَّ

وَيزورُهُنَّ فى بِيوتِهِنّ ، فكانَ يأتى إلَيها زائرًا بين الحينِ والحين ، ومعَه بعضُ أصْحابِه ، إكرامًا لَها وإعْزازا لَمكانَتِها .

وكانَ - صلَّى اللَّهُ عليه وسلَّم - يَرى فيها المَرأةَ التَّقِيَّة ، والعابِدَةَ الصّالِحَة ، الَّتى على الرُّغمِ من مالِها وثَرائِها ، كانتْ تَزدادُ تَواضُعًا وقُربا منَ اللّهِ ورَسولِه . كما كانتْ تَعطِفُ على الفُقَراءِ والمَساكين ، وتُعينُ الضُّعَفاء ، وتَفتَحُ لهم عَقلَها وقَلبَها وبابَ بَيتِها . وقد سَخَّرتْ مالَها ونَفسَها لفِعلِ الخَير .

وكانَ يقومُ على خِدمَتِها فى بَيتِها الكَبير ، عَبدٌ وجارِيَة ، ورِثَتْهُما فيما وَرِثَت عن أَهلِهـا . فلَمّا أسـلَمتْ لِلّـه ، أعْتَقتْهُمـا وأَعطَتْهُمـا حُرِّيَتَهُمـا ، فإمّا أنْ يَعيشـا مَعَهـا ويَعْمَـلا عِندَهـا ، أو يَرحَـلا إلَى حَيثُ يَشاءان . ولكِنّهُما فَضّلا أن يظَلاّ على وَلائِهِما لها ، ويَخدُماها ويَقوما علَى شُئونِها .

فوافَقَـتْ علـى ذَلـك ، وحـدّدتْ لِكُـلِّ واحِـدٍ مِنهُما أجْرًا على عَمَلِهِ عِندَها .

وذاتَ يَومٍ عَلِمت أمُّ وَرقَة ـ رَضِىَ اللّـه عَنهـا ـ أنّ رَسولَ اللّـه ـ صلّـى اللّـهُ عليـه وسـلّم ـ نَـدَبَ المُسـلِمينَ مـنَ المُهـاجِرينَ والأنْصـارِ لأنْ

يَخرُجوا ويَعتَرِضوا قافِلَةً لقُرَيش ، تَحمِلُ تِجارَةً وأمْوالا ، وهي في طَريقِها إلى المُشرِكينَ في قُرَيش ، وكانَ على رأسِ القافِلَةِ أبو سُفيان ، أحَدُ زُعماءِ قُرَيْش ، عِقابًا لهم على ما ارْتكبوهُ من إيذاءِ المُسلِمينَ في مَكّة ، ونَهبِ أمْوالِهِم .

فأسرعَتْ أُمُّ وَرَقة ، وطَلبتْ من رَسولِ اللّه ـــ صلّى اللّهُ عليه وسلّم ـ أن يأذنَ لها بالخُروجِ معَ الخارِجينَ تُداوي جَرحاهُم ، وتُعالِجُ مَرضاهُم ، لعلَّ اللّهَ أن يكتُبَ لها الشّهادَةَ .

فقالَ لها رَسولُ اللّه ـــ صلّى اللّهُ عليه وسلّم ـ :

ـ إنَّ اللَّـهَ سُـبحانَهُ وتَعـالَى سـيُهدى إلَيـكِ الشَّهادَةَ . عودى إلى بَيتِكِ فإنَّكِ شَهيدَةٌ .

فأطاعَتْ أمُّ وَرَقَةَ رَسولَ اللّه ـ صلّى اللّهُ عليه وسلّم ـ ولزِمَـت بَيتَهـا ، وجَعلـتْ منـه مَسـجِدًا ومُصَلّى ، وجَعلتْ له مُؤَذّنا يَرفَـعُ صَوتَـهُ بنِـداءِ الحقِّ كلّما حانَ وقتُ الصَّلاة . وكانتْ تَقِفُ فى أهـلِ بَيتِهـا للصَّلاةِ تَؤُمُّهُـنَّ ، وكـانتْ تَعِظُهُـنَّ وتُوجِّهُهُنَّ لِفعلِ الخَـير ، وتَتـدارَسُ مَعهُـنَّ مَعـانى القُرآنِ الكَريم .

وهكذا أصبحَ بَيتُها مَدرَسةً ، ومَكانًا يَجتَمِعُ فيه النّساءُ يتفقّهنَ فى الدّين ، ويَتعبَّدنَ ويُؤَدينَ الصَّلاة .

وكانَ رسولُ اللّهِ ـ صلّى اللّهُ عليه وسلَّم ـ يأتيها بينَ وَقتٍ وآخَر ، يَستَطلِعُ أحْوالَها ، ويَتفقَّدُ مَسجِدَها ، فَيُرشِدُها ويَعِظُها ويَنصَحُها ، وكانَ يَقولُ لأصْحابِه :

ـ انْطلِقوا بنا نَزورُ الشَّهيدَة .

وقد خرجتْ أمُّ وَرقَة ـ رَضِىَ اللّهُ عَنها ـ مع نِساءِ المُسلِمين ، خلفَ الرِّجالِ المُقاتِلينَ فى غَزوَةِ أُحُد ، تَشُدُّ أزرَهُم ، وتُداوى جراحَهُم .

وأمضتْ أُمُّ وَرقَة ـ رَضِيَ اللّه عَنها ـــ حَياتَهـا في زَمنِ الرَّسول ـ صلّى اللّهُ عليه وسلّم ـ وفي عَهدِ الخَليفَـةِ الأوَّلِ أبى بَكرٍ الصِّديق ، عـابِدَةً زاهِدَة يُشارُ إلَيْها بالبَنان .

أمّا في عَهدِ الخَليفَةِ الثَانى عُمرَ بن الخَطّاب ـــ رَضِيَ اللّهُ عَنه ـ وقـد دَنـتْ سـاعَةُ رَحيلِهـا عـنِ الدُّنيا إلى الآخِـرَة ـــ وهـى السّـاعَةُ الّتـى كـانتْ تَتمَنّاها وتَطلُبها وتَسعى إلَيهـا ، شَـهيدَة ـــ كمـا تَنبَّأ لها رسولُ اللّه ـ صلّى اللّهُ عليـه وسـلّم ـــ ، فقدِ اتّفقَ العَبدُ والجارِيَة ، اللّذان طالَمـا أغدقَـتْ عَليهِمـا مـن عَطفِهـا وإحْسـانِها ، ومِـن فضلِهـا

ورِعايَتِها ، وكانا فى حَقيقَةِ أَمْرِهِما غيرَ جَديرَيْن بِما أسْلَفتْ لَهما وقَدَّمت ، إذْ وَسوَسَ لهُما الشَّيطانُ فغَرَّهُما مالُها الكَثير ، وهى عَجوزٌ وَحيدَة ، وعزَّ علَيهِما أن يَترُكاها لِحالِها بعدَ أن طالَ وَلاؤهُما لَها ، وطَمِعا فى أنْ يَنعَما بمالِها الكَثير ، فدَبَّرا بكلِّ غَدرٍ وخِسَّةٍ قَتلها ، فقتَلاها واسْتَولَيا على أمْوالِها ولاذا بالهَرب . وعِندما عَلِمَ الخَليفَةُ عُمَرُ بنُ الخَطّاب بِما جَرى لها ، تأثَّر كَثيرًا وقال :

ـ صدقَ رسولُ اللّه ـ صلّى اللّهُ عليه وسلَّم ـ حينَ قالَ إنَّها ستَموتُ شَهيدَة .

فأمرَ بملاحَقةِ المُجرِمَيْن ، وقد عمَّ المَدينـةَ كلَّهـا حُزنٌ شَديدٌ على المُؤمِنةِ الصّادِقة .

ولم يَمـضِ اليَـومُ التّـالى علَـى الجَريمَـة ، حتّـى أمسَكَ رِجالُ الخَليفةِ بهِمـا ، وعـادوا بهِما وبما يَحمِلان من أمْوالٍ ومَتاع ، إلى الخَليفَـة ، فكـانَ جزاؤُهُمـا أن قُتِلا وصُلِبـا ، ليَكونـا عِبرَةً لِمـن يَعتَبِر .

رحِمَ اللّهُ أمّ ورَقـةَ المُجاهِدَةَ الصّـابِرَة ، رَضـى اللّهُ عنها .